مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (4): 1056-1080، 2021

Research Article

Open Access

الدراما في الخطاب الإسلامي ودورها في تبليغ الدين

عادل سالم الصغير[1]. محمد عبد القادر عمر أبو غندورة[2]

1. كلية الآداب، جامعة عمر المختار

2. كلية التربية، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/ndn83y32

المستخلص: يرى هذا البحث أن الخطاب الإسلامي يعاني من أزمة في الأدوات والمضمون، حيث لا يواكب التطور التكنولوجي ويغلب عليه الطابع التقليدي، بخلاف الخطاب المضاد الذي يستغل كل الوسائل الحديثة. وبما أننا نعيش في عصر العولمة وسرعة انتشار المعلومات، أصبح من الضروري الاستفادة من وسائل مثل الدراما لنشر الخطاب الإسلامي بفاعلية أكبر، خاصة في مواجهة تشويه صورة الإسلام من خلال بعض الأعمال الدرامية، مع التأكيد على أهمية وضع ضوابط لاستخدام هذه الوسائل.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإسلامي، وسائل العصر الحديث، الدراما.

The Role of Drama in Islamic Discourse and its Impact on Religious Propagation

Adel Salem Al-Saghir[1]. Muhammad Abdel Qader Omar Abu Ghandoura[2]

1. Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

2. College of Education, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This research argues that Islamic discourse suffers from a crisis in both its tools and content. It fails to keep pace with technological advancements and remains rooted in traditional methods, unlike opposing rhetoric that exploits all modern means of communication. Given the era of globalization and rapid information dissemination, it becomes crucial to utilize tools like drama to disseminate Islamic discourse more effectively, particularly in confronting the distortion of Islam's image through certain dramatic works. However, the research emphasizes the importance of establishing guidelines for employing these methods.

Keywords: Islamic Discourse, Modern Tools, Drama.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث قضية هامة من قضايا الأمّة الإسلامية، ألا وهي (الخطاب الإسلامي) فنحن نعاني من أزمة في الخطاب الدّيني على مستويين: مستوى الأدوات، ومستوى نوعية الخطاب، فأدوات الخطاب الإسلامي لا تواكب التّطور العلمي والتكنولوجي، كما أنّ نوعية الخطاب للأسف تهتم بالظاهر والفروع دون الالتفات إلى القضايا العظمى، ومقاصد الإسلام وكلياته الكبرى، وإذا نظرنا إلى الخطاب المضاد المشوّه للإسلام نجده في أوج قوته، ذلك لأنّه يستخدم كلّ ما أتيح له من وسائل وأساليب، على عكس الخطاب الإسلامي الّذي لا يزال يدور في فلكه التقليدي من الخطب والكتب والمحاضرات، في حين أنّ العالم اليوم تجاوز هذه الوسائل الّتي لم يعد لها ذلك التأثير الكبير كما في السّابق.

إنّنا في عصر العولمة الّذي جعل العالم كلّه قرية واحدة، ومن خصائص هذا العصر سرعة انتقال الخطاب عبر القارات سرعة البرق، يمكنك أن تخاطب من غرفة بيتك عبر السكايب، أو الفيسبوك، أو غيرها من برامج الشبكة العنكبوتية أقاصي العالم وأطرافه، فيسمعك العالم ويراك كأنّه يجلس إليك، فلو كنت تحدّث قديمًا في مسجد من المساجد ربّما لم يسمعك كلّ من بالمسجد! وربّما رآك بعض المصلين ولم يرك الآخرون، لكنّ هذا التّطور التكنولوجي في وسائل الاتصال جعلنا أمام حقيقة حتمية وضرورية؛ وهي الاستعانة بهذا التّطور في الخطاب الإسلامي، ومما يمكن أن تُستغل به هذه الوسائل الحديثة بشكل أمثل في إيصال الخطاب الإسلامي (الدراما) الّتي تبث عبر التلفاز أو الانترنت، فنحن ندرك أثرها الخطير حين يستخدمها أعداؤنا في تشويه صورة الإسلام، لا بد أن نستعين بهذه القيمة الفنية في الدفاع عن الإسلام، ونشر صورته السمحة، ودحض الشبه والافتراءات، وهذا ما يحاول هذا البحث تناوله، والتأكيد عليه، والاستدلال له من ناحية شرعية، و وضع ضوابط له. ومن أهم نتائج البحث أنّ صورة الإنسان المسلم تشوهت بعفل أعمال درامية معينة.

Summery

This study discusses the Islamic nations essential issues, and they are the Islamic discourses, in which these days has reached its pin point of this century's problems. These days we can feature the Islamic discourses as it is in a clinical death situation. Islamic discourses suffer in many standards two of which are the standard of tools used, and the standard of quality of Islamic speeches. We can find out that the quality of religious speeches (Islamic speeches) do not keep up with the scientific development and technology. Unfortunately, this kind of speech just deals with paying attention to the great issues, and the purpose of Islam, and its major colleges. On the other hand; if we look at the negative counter part of Islam we find it in its greatest strengths, and that is due to its nonstop of use in sources. Meanwhile; we see the means of Islamic speeches not developing and lack the use of a variety of sources, using only speeches, lectures, and books. As well as we can see how the other nations overrun these out of date sources which are no longer in need of use.

We are in an age of globalization. thus; the speed of transporting information is rapid. You can give speeches by using skype or Facebook and many other kinds of modern communication tools, from one end of the world to another. Hence; the world can see and hear you while you are sitting at your home. Meanwhile; if you were in the past and you gave a speech in a mosque some may not hear you and others may not see you. However; this modern technology and its means of communication made it an inevitable fact of its importance and its use in the means of Islamic speeches. Therefore; we can take an advantage of the use of technology to transport Islamic discourses (Melodrama) in broadcasting via internet and television. Hence; if our enemy's use technology for destroying the image of Islam it will be a serious impact on us. We must use technology to defend Islam, and spread the greatness of the Islamic image, and beat all kinds of fabrications that enemies of Islam may use. therefore; this is what the study shows and emphasize in terms of Islamic legitimacy and standards. One of the most important results of the research is that the image of the Muslim man is distorted by a certain dramatic work.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبذة عن موضوع الدّراسة:

هذه الورقة هي محاولة لتجديد آليات الخطاب الديني لتواكب التّطور التكنولوجي والتقني، وتستفيد من هذا التطور في تقوية الخطاب الإسلامي وتجديده، الّذي بدوره يعاني من الجمود الّذي يحول دون جعله خطابًا منتجًا، وذلك عن طريق الاستعانة بالدراما في الخطاب الإسلامي، فالدّراما والمسرح من أهم الفنون وأقدمها، وقد قيل: أعطني مسرحًا أعطيك شعبًا متحضرًا، إذ لا ينبغي النّظر إلى الدراما على أنّها نوعٌ من التسلية وتضييعٌ للوقت بل هي أكبر من ذلك، إنّ الدراما صورة مصغرة للحياة الّتي يعيشها الإنسان بكل ظروفها وملابساتها، ولا ينبغي أنّ نحكم على الدّراما من خلال ما نشاهده من أعمال درامية عربيةٍ هابطة، لا تسعى إلّا لكسب المال وجني الأرباح! فالدّراما قالب فني جميل يستطيع من خلال أشكاله المتعددة وقدرته على التأثير أن يأخذ مكانته في تنمية المجتمع، وترسيخ قيمه الأصيلة.

فالدراما يمكنها كسر الملل والرّتابة الملتصقين بالخطاب الإسلامي من خلال ما تمتليء به من عناصر التشويق والحبكات السينمائية والخيال الواسع الّذي يأسر عقل المتلقي، كما يمكنها تقديم خطاب ديني متزن يحارب التّطرف والاستبداد معًا، ويبصر النشْء بأهمية رسالتهم وهدفهم الأسمى، وهذا هو ما يفتقد له الخطاب الإسلامي التّقليدي الّذي لا يصل إلّا إلى فئات عمرية واجتماعية معينة، ومن هنا سلطت الضوء في هذه الورقة على الدّراما كأحد الأدوات الهامة الّتي لها دور حقيقي في صنع واقع جديدٍ، وإزالة التّشوهات الّتي التصقت بالإسلام.

لقد استعمل المسلمون الدّراما التلفزيونية في تعريف النشء بتاريخهم وتراثهم، وما فلم الرسالة وقمر بني هاشم وعمر المختار إلّا دليل على ذلك.

ولكن يمكننا القول بأنّ هذا غير كاف أمام الهجمة الشرسة الّتي يقودها أعداء الإسلام ضدنا، بل يجب علينا تقييم المستوى الّذي وصل إليه دعاتنا في خطابهم الإسلامي، وإعداد العدة لتطوير وتحسين الأداء ليتسنى لنا مواصلة التّصدي لهذه الحملات التنصيرية والماسونية والعنصرية المغرضة الّتي تستهدف أبناءنا وبناتنا في عقيدتهم وتمسكهم بدينهم.

أهميّة الدّراسة:

إنّني لا أظن أنّني أبالغ حين أقول: إنّ العالم ينظر إلينا اليوم عبر الدراما! حيث يمثل التلفزيون الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشارًا بين النّاس، فلا يخلو منه بيت و لا مقر، لذلك يعد من أهم مصادر تكوين الصورة واكتساب المعرفة، وما

يبثه هذا الجهاز خاضع لسياسات المستثمرين، الّذين لا ينتجون من الأعمال الدّرامية إلّا ما يعود عليهم بالربح، فالمستثمرون يبحثون عن الإثارة، يريدون إثارة الجمهور، والأرباح هي هدفهم، لذلك لا يريدون التركيز على الخير، بل على المشاكل والقضايا المثيرة مثل الإرهاب، النّقاب، حرية المرأة، المساواة بين الجنسين، وتعدد الزوجات.

يركز الإعلام على هذه الجزئيات الصغيرة الّتي لا تحتل من الإسلام مساحةً واسعةً، ويسلّط عليها الضوء، ويجعل منها قاعدة الإسلام وأساسه! فيشكل المتلقي فكرته عن الإسلام وفق ما يشاهده من أعمال درامية، لا سيما فئات الشباب الّتي لا تستهويها نشرات الأخبار والبرامج الثقافية، بقدر ما تنجذب إلى الأعمال الدرامية، ومن خلال ما تشاهده من تصويرٍ للإسلام –تتبنى صورة ما نقل إليها لتحكم على الإسلام وفق ما أراده المنتجون! لتكون بذلك الدّراما هي المشكل للصورة الخارجية للإسلام عند العالم الغربي.

وإنّ كثيرًا من وسائل الإعلام الغربية سعت جاهدةً في تشويه صورة الإنسان المسلم بسبب الصراع الإسلامي الصهيوني، كل ذلك تبريرًا لسياسات دولهم المتضامنة مع الاحتلال الصهيوني، كما أنّ الكيان الصهيوني يقوم أيضًا بدور رئيس في تشكيل صورة شديدة السلبية عن العرب والمسلمين –لضمان استمرار مساندة الغرب له في صراعه مع المسلمين.

هذا بالإضافة أنّ بعض الأمريكيين الّذين يبحثون عن عدوٍ جديد، يختبرون ضدّه قوتهم وعزمهم بعد موت الشّيوعية، يعتبرون الإسلام الخصم المفضل، يقول الباحث جون ل اسبوزيتو: "ومن سوء الحظّ! أنّ صنّاع السياسة الأمريكيين، شأنهم شأن وسائل الإعلام، غالبًا ما برهنوا على أنّهم قصار النّظر، يصورون العالم الإسلامي والحركات الإسلامية على أنّها كتلةٌ واحدةٌ صمّاء، ولا يرونها سوى في ضوء التّطرف والإرهاب[1]".

هذا التركيز المتعمد في تشويه صورة الإنسان المسلم، وهذه الكثافة الحسية الّتي يتعرض لها الإنسان الغربي شكّلت لديه صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، فصارت أحكامه على الإسلام تبنى على ما يشاهده من أعمال درامية موجهة، تصور الإنسان المسلم تارة همجيا شديد الجهل، وتارة إرهابيا يسعى لامتلاك أسلحة دمارٍ شامل، وتارةً شهوانيا تحركه غريزة الجنس، هذه الصورة الظّالمة يجب أن تصحح عبر أعمال درامية صادقة، تبث الصّورة الحقيقية عن الإسلام والمسلمين.

أسباب اختيار الموضوع:

1. المخططات الخبيثة لتشويه صورة الإسلام عبر أعمال درامية غربية.
2. قلة الأعمال الدّرامية الإسلامية في ساحة الأعمال العربية.
3. الجمود والرتابة المكتنفان الخطاب الإسلامي، فأردنا أن تكون هذه الورقة محاولة للتجديد والإصلاح.

[1] سبوزيتو، جون ل: **التّهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟**. ط:2، ترجمة: قاسم عبده قاسم، النّاشر: دار الشّروق، القاهرة –مصر (20)

4. تُعدّ الدّراما حسب بعض الدّراسات العلمية _كما سيأتي في هذا البحث_ هي المصدر الرئيس للتعرف على الإسلام عند الغرب.
5. قدرة الأعمال الدّرامية على تبصير النّشء بحضارتهم ورسالتهم، حيث يأتي الإقبال عليها طواعية وبعفوية تامّة.

أهداف الدّراسة:

1. إزالة التّشوهات الّتي حاولت الدّراما الغربية إلصاقها بالإسلام.
2. تجديد آليات الخطاب الدّيني لتواكب التّطور التقني.
3. تحرير خطابنا الإسلامي من مظاهر الجمود والرتابة، وتسليط الضوء على التعريف بالدراما وبيان أهميتها في الخطاب الإسلامي المأمول، وموقف الفقه الإسلامي منها.

المنهج العلمي المتبع في الدّراسة:

اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التّحليلي، حيث سنقوم بجمع البيانات والمعلومات، وتتبع الدّراسات الّتي أجريت حول موضوع الدّراما، محاولين الإجابة على عدّة تساؤلات مثل: كيف يمكننا الاستعانة بالدّراما في الخطاب الإسلامي؟ أين هو موضع الخلل والقصور في الأعمال الدّرامية الإسلامية؟ لماذا لا يتم الإقبال من المستثمرين على إنتاج مثل هذه الأعمال؟

خطة البحث:

المبحث الأوّل

مفهوم الخطاب الإسلامي، وأهميته، وأوجه القصور فيه

المطلب الأوّل: مفهوم الخطاب الإسلامي

المطلب الثّاني: أوجه القصور في الخطاب الإسلامي

المطلب الثّالث: أهمية الخطاب الإسلامي

المبحث الثّاني

مفهوم الدّراما، وتأثيراتها

المطلب الأوّل: مفهوم الدّراما

المطلب الثّاني: الميلودراما القوة المحركة

المطلب الثّالث: تأثير الدّراما

المبحث الثالث

مصادر الدّراما وموقف الفقه الإسلامي منها

المطلب الأوّل: مصادر الدّراما الإسلامية

المطلب الثاني: موقف الإسلام من الدّراما

المبحث الرابع

ضرورة الدراما في الخطاب الإسلامي وأهميتها في مخاطبة المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى

المطلب الأوّل: ضرورة الدراما في الخطاب الإسلامي

المطلب الثّاني: أهمية الدّراما في خطاب المسلمين وغيرهم.

الخاتمة

وتشتمل على على أهم النّتائج وما تمخّض عنها من توصيات ومقترحات

الفهارس

يقتصر على فهرس المصادر والمراجع فقط

المبحث الأوّل

مفهوم الخطاب الإسلامي، وأهميته، وأوجه القصور فيه

أتحدث في هذا المبحث عن المفهوم اللغوي للخطاب الإسلامي، وعلاقته بالمفهوم الاصطلاحي، والفرق بين الخطاب الدّيني والنّص الدّيني، كذلك يتحدث هذا المطلب عن أهمية الخطاب الإسلامي في دعوة النّاس إلى الله I، ثم ختمت المبحث بالحديث عن سلبيات الخطاب الإسلامي الّتي من أهمها غياب الرّقابة، والجمود وغيرها.

المطلب الأوّل: مفهوم الخطاب الإسلامي

الخطاب لغةً :

الخطاب لغةً هو مراجعة الكلام، وهو الكلام الّذي يقصد به الإفهام، قال الله I (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[2] ومعنى فصل الخطاب: بيان الكلام، والبصر في القضاء، وهو الفصل بين الحق والباطل[3]، وقد عرّفه الجاحظ بأنّه: "تفصيل المجمل، وتلخيص الملتبس، والبصر بالحز في موضع الحز، والحسم في موضع الحسم[4]".

الخطاب الإسلامي اصطلاحًا :

إنّ المفهوم الاصطلاحي للخطاب الإسلامي هو: التعبير التّطبيقي عن الإسلام في الفكر، والسّياسة، والاقتصاد، وسائر مجالات الحياة والثقافة، فالخطاب الإسلامي ليس هو الإسلام تمامًا، وإن كان ناتجًا عن التحرك بالإسلام، والعمل على تطبيقه وفهمه والرّجوع إليه، لكنّه مجهودٌ بشري يخطيء ويصيب، ويقترب من الإسلام ويبتعد عنه، ويستلهم المرحلة والبيئة المحيطة به سلبًا وإيجابًا، قد يكون متقدمًا ومبدعًا، وقد يكون قاصرًا فاشلًا، وهو ليس خطابًا واحدًا كما الإسلام، ولكنه خطابات عدّة مختلفة حسب قراءة النصوص والتّراث وفهمها، وما يؤثر في هذه القراءة من بيئة محيطة، فالحديث عن النّظام السياسي، أو الاقتصادي الإسلامي، أو الإعلام الإسلامي والتّعليم، أو الجماعات و المؤسسات الإسلامية، والدّول وأنظمة الحكم السياسية الإسلامية هو تعبير نسبي، بمعنى نسبة الخطاب إلى الإسلام، وفي الحقيقة فإن نسبته إلى المسلمين وليس إلى الإسلام، فالخطاب الإسلامي هو "خطاب المسلمين"، والنّظام السّياسي الإسلامي هو النّظام السياسي للمسلمين، وكذا الدّول والمؤسسات والأفكار والبرامج، وهو نسبي أيضًا بمعنى "النسبية"، أي أنّه يسعى

---

[2] سورة ص الآية 20 .

[3] الواحدي، علي بن أحمد (ت / 1415 هـ) : **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** . ط:1 ، تحقيق: صفوان عدنان، النّاشر: دار القلم، الدّار الشامية، دمشق – بيروت، (2 : 921)

[4] الجاحظ، عمرو بن بحر (ت / 255 هـ) : **البيان والتبيين**. لا:ط، تحقيق: فوزي عطوي، النّاشر: دار عصب، بيروت – لبنان (1 : 115)

للاقتراب من الصواب والعدل، لكنّه حتمًا ليس الصواب المطلق، و لا الحالة المطلقة الّتي لا يجوز مراجعتها والتّخلي عنها[5].

المطلب الثّاني: أوجه القصور في الخطاب الإسلامي

من خلال التّعريف السّابق يتبين الفرق بين النّص الديني والخطاب الدّيني، فالنّص الديني هو ما ورد في القرآن الكريم، أو السنّة النبوية المطّهرة، أمّا الخطاب الدّيني فهو التفسير والتأويل لنصوص القرآن والسنّة، فالخطاب الإسلامي يمثل فهم المسلمين للإسلام وقراءتهم لنصوصه، لذلك فإنّ الخطاب الديني يتعرض لمجموعة من السلبيات النّفسية والاجتماعية والمعرفية لأنّه عبارة عن فهم معين، من هذه السلبيات: المذهبية والحزبية المتعصّبة، الجمود والركود وعدم التّجديد والإبداع في الأسلوب والطريقة، التّقليد في الخطاب، التقوقع والانغلاق وغيرها.

ومن السلبيات الأخرى عدم الانضباطية وغياب الرّقابة في الخطاب الإسلامي، نحن نرى اليوم كمًا كبيرًا من القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة –توجّه خطابها إلى الداخل والخارج بلغة فضّة وأسلوب ركيك، بعيدةً عن الجانب العلمي الرّصين، تركّز في خطابها على جزئياتٍ دينية كالنقاب واللحية والإزار، وتلبسها ثوب الكلّيات، موهمة المخاطب أنّ هذا هو الإسلام، أمّا ما عداه من العدالة، والحرية، وحقوق الإنسان، فلا تولي لها اهتمامًا، بل في غالب الأحيان تربطها بالكفر والعلمنة، وتأمر بطاعة الحاكم ولو جلد ظهرك وسلب مالك! مؤصّلة بذلك لثقافة الخنوع للاستبداد، ومع الأسف الّذي لا ينتهي أنّ هذه الفئة الّتي تمارس هذا النّوع من الخطاب ليست لديها مساحةٌ للآخر، بل هي فئة إقصائية تسعى إلى إلغاء الآخر وإبعاده بشتّى الطّرق والأساليب.

ومن أشكال التّطرف الّتي نراها في الخطاب الإسلامي، ما يمارسه تنظيم الدّولة الإسلامية (داعش)، فهو يمارس خطابًا عنيفًا يصوّر الإسلام، أو يحصر الإسلام في دائرة العقوبات والحدود، في حين أنّ ما جاء في القرآن من آيات القصاص لا يتجاوز عشر آيات القرآن الكريم، أمّا الكم الأكبر من القرآن الكريم جاء يتحدث عن التّوحيد المطلق لله I، وعن العدالة الاجتماعية، وضمان حقوق المرأة، ومعالمة الأسرى معاملة حسنة، وإحياء النّفس، وبذل الصدقة، وإطعام المساكين، وغيرها من المعاني النبيلة الّتي يطول الحديث عنها، كل هذه المعاني تغيب في خطاب هذا التّنظيم.

ويتميز خطاب هذا التنظيم _عن سائر الجماعات الإسلامية الأخرى_ باستحداثه آليات جديدة في خطابه، فقد استعان بالإصدارات المرئية، وآلات التصوير الحديثة، والأناشيد الحماسية، ممّا مكن له الوصول إلى فئات عمرية معينة يستهويها هذا النّوع من الخطاب، وهي فئة المراهقين، فهذه الفئة من المجتمع تتأثر بالأعمال السينمائية والدّرامية الحركية أكثر من تأثرّها بالكتب والخطب والمحاضرات "وتتقن المواقع الجهادية انتقاء الصور الّتي تفيض بمعاني التضحية والبطولة

[5] غرايبة، إبراهيم: **الخطاب الإسلامي في ظلّ الربيع العربي**. النّاشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، http://www.mominoum.com.

وتحولها إلى مولدات للتعاطف والتضامن ومحفزات للمحاكاة والاحتذاء بين الجمهور المسلم، فتتضخم المفاعيل النفسية والأيديولوجية للخطاب الجهادي الإلكتروني بفضل ما تمنحه الصورة من طاقة دلالية للرسالة، فضلًا عن قابليتها للانتشار والمشاركة بين شرائح مختلفة في مناطق متعددة ضمن منصات متشابكة"[6].

إنّ وضع الإنسان العربي اليوم بين أمم العالم يعدّ وضعًا مأساويًا صعبًا، فهو إمّا محتلٌ من كيان صهيونيٍ آثم، أو مشرّد تائهٌ في أقطار العالم هربًا من بربرية نظامٍ مستبدٍ غاشم، أو جائعٌ في صحراء إفريقية أفقره احتلال غربي ظالم، ومع ذلك لا يجد في الخطاب الإسلامي ما يلملم جراحه، ويلبي طموحاته، لا يجد في الخطاب الإسلامي إلّا ما يدعوه للخنوع بذريعة الطّاعة، أو التّطرف بذريعة الجهاد.

المطلب الثّالث: أهمية الخطاب الإسلامي

الخطاب الإسلامي ضرورة ملحة لأسباب عديدة أهمها أنّه: رسالة البلاغ المبين، ذلك لآن المسلمين في كلّ عصر مطالبون بتبليغ رسالة الله عبر خطاب إسلامي يقدّم الإسلام عقيدةً وشريعةً وقيمًا، بمضمون صحيح، وأسلوبٍ قشيبٍ فاعل، يبصر من العمى، ويهدي من الضلالة، ويرشد من الغي، ويرد من التيه، يقرّب البعيد، ويروّض العنيد، يهدي الكافر، ويؤلف النّافر، فيقيم الحجّة على البشرية، ومتى خلا الزّمان من هذا البلاغ لحق التّقصير بالمسلمين[7].

ويمثل الخطاب الإسلامي المكوّن الأساسي للعقل المسلم، كما أنّه يشكّل المصدر الأساسي لوعي الآخر (غير المسلم) بالإسلام، ومن هنا يبدو واضحًا ومفهومًا أنّه مهما يكن بالمسلمين من حال العلم أو الجهل، والرّشاد أو الضلال، والوحدة أو الشقاق، والتّحضّر أو التّخلف، وكذا مهما يكن عليه وعي الآخر بالإسلام من حال العمق أو الضحالة، والسّلامة أو التّشوه، والصّحة أو الزّيف، إنّما يعكس أساسًا حال الخطاب الإسلامي السّائد[8].

المبحث الثّاني

مفهوم الدّراما، وتأثيراتها

[6] سويلمي، محمد (2018) الخطاب الجهادي الإلكتروني وعولمة العنف المقدس، نشر في كتاب الجهاد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، إشراف بسام الجمل، تقديم: أنس الطريفي (25)

[7] البشير، عصام (1425 هـ - 2004 م) : **منطلقات أساسية لخطاب إسلامي معاصر**. مؤتمر الهدي النبوي في الدّعوة والإرشاد، أبو ظبي.

[8] المصعبي، عبد الملك منصور: **خصائص الخطاب الإسلامي المعاصر**. www.RA-YE.com .

أتحدّث في هذا المطلب عن تعريف الدّراما، وأهم صورها وأنماطها، ثم أتحدّث بعد ذلك عن معنى كون الدّراما قوّة محركة، وذلك باعتمادها على المشاعر الإنسانية، والعواطف الوجدانية، وتأثيراتها في السّلوك والقيم والأفكار، ثم ختمت المبحث بالحديث عن موقف الإسلام من هذا الشكل الفنّي.

المطلب الأوّل: مفهوم الدّراما

للدراما مجموعة من التعريفات تكاد تكون متشابهة لا تختلف عن بعضها إلّا في نقاطٍ يسيرة، ففي معجم المعاني هي: تأليف شعري أو نثري، يقدّم حوار قصة، يعالج جانبًا من الحياة الإنسانية، وغالبًا ما تكون مصممة للعرض على خشبة المسرح أو الشّاشة[9]. فالدّراما حسب هذا التّعريف: نوعٌ من النّصوص الأدبية الّتي تؤدى تمثيلًا في المسرح، أو السينما، أو التلفزيون، أو الإذاعة.

ويُعرّف الكاتب السّوري محمد خير الحلبي الدّراما بأنّها: "حكاية مصوّرة يشترك فيها مجموعة من الشخوص، في زمان ومكان واقعي أو افتراضي، تتناول حياة هؤلاء البشر، وواقعهم الاجتماعي[10]" .

فالدراما بالمجمل شكل فنّي يقوم على عنصر التّمثيل، ويستخدم فيه الإنسان وسائط الفكر، والإحساس، والصوت، والحركة، والسّكون، للتعبير عن حدث ذي دلالة، قد يكون هذا الحدث ماضيًا، يُستغل للتأكيد على الهوية الوطنية مثلًا، أو للاستفادة من أخطاءٍ ماضية لتلافي وقوعها مستقبلًا، وقد يكون هذا الحدث حاضرًا تحاول الدّراما صناعة وعيٍ لدى المجتمع به وبمآلاته، وهنا أتحدّث عن الدّراما الهادفة، على عكس ما تمتليء به شاشتنا العربية اليوم من أعمال درامية تعارض قيمنا الإسلامية.

أمّا الأحداث المستقبلية فهو ما تخلو منه ساحة الدّراما الإسلامية، فغالب ما أنتج من أعمال إسلامية تكاد تدور حول أحداث تاريخية، الرّسالة، عمر المختار، عمر الفاروق، وغيرها كثير، هذه كلّها أحداث تاريخية، ومثل هذه الأعمال صحيحٌ أنّها تخلق لدى الفرد انتماءً واعتزازًا بماضيه؛ لكنّها في نفس الوقت _إن اقتصرت الدراما الإسلامية عليها_ تجعل المتلقي حبيسًا لماضيه، يدور في فلك الأمجاد الخالية، وهذا ما يُعرف بالدّراما التاريخية الّتي عرّفها بعضهم بأنّها: حكايةٌ لجانبٍ من الحياة الإنسانية، يقوم بأداء أدوارها ممثلون وممثلات على المسرح أو الشّاشة، يقلّدون فيها أشخاصًا في لباسهم، وأقوالهم، وأفعالهم[11].

---

[9] معجم المعاني على الإنترنت http://www.almaany.com .

[10] الحلبي، محمد خير: **الدّراما الرمضانية وعلاقتها بالأبنية الاجتماعية**. النّاشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، www.mominoum.com.

[11] مصطفى، إبراهيم. و الزّيات، أحمد. و عبد القادر، حامد. و النّجار، محمد: **المعجم الوسيط**. لا:ط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، النّاشر: دار الدّعوة (1 : 282) .

المطلب الثّاني: الميلو دراما القوة المحركة

للدراما ثلاثة أنواع رئيسة، منها الكوميدي الّذي يهدف إلى إضحاك النّاس، ومنها التّراجيديا الّذي يملأ قلب المتلقي بالحزن، وهناك نوعٌ ثالثٌ نشأ عن طريق الخلط بين النّوعين الأولين (التراجيكوميدي) وفيه يمزج بين السخرية والكوميديا السّوداء.

غير أنّه هناك مصطلحات أخرى تتعلق بالدّراما، من أشهرها (الميلودراما) وهو ما تمثله تلك الدّراما المشوقة الّتي تتميز بخفتها وقصرها وحب المتلقي لها، وهي الّتي يكتنف أحداث قصتها الغموض، والتشويق، والإثارة، ومثال ذلك أفلام ومسلسلات الحركة والإثارة، أو تلك الّتي تتحدث عن بطولات تاريخية، أو ذات الطّابع البوليسي، والمكائد السياسية، أو حتّى الأفلام الرومنسية، هذه الأشكال والقوالب هي الأكثر جذبًا ومشاهدة عند الشباب، فمن منطلق دراسة أجراها الباحث مصطفى صابر النمر[12]، اتّضح أنّ عينة الدّراسة تفضل بنسبة 64.3% مشاهدة أفلام الرعب، وجاءت أفلام الخيال العلمي في الترتيب الثاني بنسبة 64% ، ثم في المرتبة الثالثة الأفلام الرومنسية بنسبة 60.5% يليها في الترتيب الرّابع الموضوعات البوليسية بنسبة 30.8%، بينما جاءت الموضوعات التاريخية في الترتيب الخامس بنسبة 13.5%.

هذه هي الميلودراما، مليئةٌ بمشاعر متناقضة من: الخوف، والضحك، والحزن، والفرح، والأمل، والحماس، هذه المشاعر هي القوة المحركة والدافعة للإنسان، لذلك فسر بعض العلماء الإنسان بأنّه كائنٌ يقاد من داخله، أي يقوده ويُفسّر سلوكه الخارجي ما يستقر في فؤاده من مشاعر وأحاسيس، هذه المشاعر تكون إيجابية أحيانًا كمشاعر الحب، والأمل، والتفاؤل، والحماس، فتنعكس إيجابًا على أدائه الخارجي، وتكون سلبية أحيانًا كمشاعر اليأس، والخوف، والغضب، والحزن، فتنعكس سلبًا على أدائه الخارجي.

ينبغي على الميلو دراما الإسلامية أن تنطلق من هذه الفلسفة (المشاعر الإنسانية) أو (القوة المحركة) وهذا ما أدركه علماء النّفس ورجال التربية –من أنّ الأطفال يؤدون بشكل تلقائي عملًا دراميًا سمّوه (اللعب التمثيلي – dramatic play) وهنا لا بد أن تستثمر هذه القوة المحركة استثمارًا يدفع نحو: التّأكيد على القيم الإسلامية الرّاقية، توحيد الأمّة الإسلامية ولم شملها، نشر الدّعوة الإسلامية بالتأكيد على قيم العدل، والتّسامح، وقبول الآخر.

المطلب الثالث: تأثير الدّراما

[12] النمر، مصطفى صابر (2016م): **الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية**. ط:1، 2016. النّاشر: دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

سأكتفي في هذا المطلب بالاقتصار على بعض الدّراسات الميدانية المتعلقة بتأثير الدّراما على فئات الأطفال، والمراهقين، والشباب، والمرأة، ومن هذه الدّراسات:

1. دراسة سوزان بريدج Berridge, Susan (2011) حول "قضايا المرأة ومشاكلها الشخصية، دراسة تحليلية" وأظهرت النّتائج للدراسة التحليلية أنّ هناك علاقة طردية بين ما يقدم من عنف جنسي في البرامج الدّرامية، وبين تصوّر واقع تلك المشاهدة لدى الشباب والأطفال خلال الفترة 1990 . 2008 م .
2. دراسة كاتي جورنين وآخرون Katia Joronen (2011) حول "خبرات الأطفال والتّعلم العاطفي من خلال برامج الدّراما في المجتمع، دراسة مسحية" وأظهرت النّتائج أن نسبة 87% من العينة قد تعزز لديهم مفهوم التعلم العاطفي بعد مشاهدتهم للدراما التلفزيونية مسببًا تغيرًا في سلوكهم الاجتماعي.
3. دراسة فيليب أتور وآخرون Phili Auter (2010) حول "تأثير الدّراما التلفزيونية على إدراك الشباب المصري والأمريكي لمفهوم الأسرة، دراسة تحليلية" وأظهرت النّتائج أنّ هناك علاقة طردية بين كثافة مشاهدة الشباب من الجنسين للدراما، وترسيخ إدراك المفاهيم الأسرية في المجتمع.
4. دراسة راضي وذياب (2010) حول " التّعرض للمسلسلات التركية المدبلجة، ورأي الجمهور بالمحتوى القيمي فيها، دراسة تحليلية" وأظهرت النّتائج:

أ- التأكيد على أنّ التّعرض للمسلسلات التّركية المدبلجة كان يتّسم بالانتظام والشدّة العالية بين أواسط المراهقين وخصوصًا الإناث، وذلك يعني الارتباط العاطفي، والتفاعل الاجتماعي، والثقافي، بين المراهقين وما تطرحه المسلسلات التركية من مضامين وأفكار.

ب- الانبهار العالي بين أوساط المراهقين بالنماذج والموديلات الّتي قدّمتها المسلسلات التركية المدبلجة على مستوى وسامة وجاذبية الممثلين والممثلات، فضلًا عن جمالية المواقع والمشاهد السياحية الّتي تقف ورائها استراتيجية سياحية للدولة التركية.

ت- التبني لبعض القيم الثقافية والاجتماعية الّتي نقلتها المسلسلات التركية، لا سيما الرّفض البارز للغدر والخيانة، بوصفها حالة سلبية إلى جانب القبول والترحيب بقيمة الحب[13].

[13] العرضاوي، مرفت محمد شريف (1433-1434هـ) : **التأثير النّفسي للدراما التلفزيونية على السلوك الأسري** دراسة ميدانية.

5. دراسة صباح الزّين (2015) حول: "تأثير البرامج التلفزيونية على القيم الاجتماعية للشباب بالدراما التركية أنموذجًا. دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي[14]" ومن أهم نتائجها: أن تأثير الدّراما التركية كان تأثيرًا ذا اتجاهين، تأثير سلبي، وآخر إيجابي، وهذا نظرًا للمحتوى الّذي تتضمنه هذه الأخيرة، وأيضًا العوامل الإيجابية المحيطة بالشباب.
6. دراسة رانيا أحمد محمود مصطفى (2006) حول: "تأثير الدّراما العربية والأجنبية المقدّمة في القنوات الفضائية العربية على قيم واتّجاهات الشباب العربي[15]" ومن أهم نتائجها: ارتفاع نسبة المشاهدة للدراما 100% بوجه عام لعينة الدّراسة.
7. دراسة بارعة حمزة شقير (1995) حول: "تأثير التّعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون على إدراك الشباب اللبناني للواقع الاجتماعي[16]" ومن أهم نتائجها: وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التّعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون وإدراك الواقع الاجتماعي، وذلك بالنسبة لكل من العنف والإدمان.
8. دراسة منى الحديدي، وآخرون (2006) حول: "استخدامات الشباب العربي للقنوات الفضائية وتأثيراتها فيهم[17]" ومن أهم نتائجها: بروز قنوات الدّراما والأفلام في قائمة تفضيلات المشاهدة لدى الشباب العربي.
9. دراسة عيسى الشمّاس حول: "تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب دراسة ميدانية على طلبة كلّية التربية بجامعة دمشق[18]" وأكدّت مجمل نتائج هذه الدّراسة على حقيقة لا يمكن تجاهلها، وهي وجود القنوات الفضائية الأجنبية وتأثيراتها، الأمر الّذي يستدعي التعامل معها بحذر من أجل حماية الشباب، والحفاظ على الشخصية العربية بهويتها وثقافتها.

---

[14] الزين، صباح (2015م): **تأثير البرامج التلفزيونية على القيم الاجتماعية للشباب الدّراما التركية أنموذجًا**. رسالة ماجستير، إشراف: بلال بو ترعة، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع.

[15] مصطفى، رانيا أحمد محمود (2006م): **تأثير الدّراما العربية والأجنبية المقدّمة في القنوات الفضائية العربية على قيم واتّجاهات الشباب العربي**. أطروحة دكتوراة، إشراف: أ.د ماجي الحلواني ، د.شاهيناز البسيوني. جامعة القاهر، كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتلفزيون.

[16] شقير، بارعة حمزة (1995م): **تأثير التّعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون على إدراك الشباب اللبناني للواقع الاجتماعي**. أطروحة دكتوراة، القاهرة: كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1995م.

[17] الحديدي، منى. العبد، عاطف (2006م): **استخدامات الشباب العربي للقنوات الفضائية وتأثيراتها فيهم**. دراسة حالة لطلّاب معهد البحوث والدّراسات العربي، معهد البحوث والدّراسات العربية – قسم البحوث والدّراسات الإعلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة.

[18] الشمّاس، عيسى (2005م): **تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب** دراسة ميدانية. مجلة جامعة دمشق - المجلد 21 - العدد الثاني 2005 .

10. دراسة مصطفى صابر النمر (2016) حول: "الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية[19]" ومن أهم نتائج هذه الدّراسة: ارتفاع نسبة مشاهدة الشباب للدّراما بوجه عام بنسبة 100% مما يؤكد على الدّور الّذي تستطيع الدّراما أن تقوم به في التّأثير على قيم الشباب العربي.

المبحث الثالث

مصادر الدّراما الإسلامية وموقف الفقه الإسلامي منها

نتحدث في هذا المبحث عن المصادر المتاحة للكاتب والمنتج الإسلامي، بحيث يمكنه تأليف مادته الدرامية منها، وكيف يمكنه أن يصنع درامة إسلامية هادفة، وفي نفس الوقت مشوقة وممتعة ومليئة بالقيم والرسائل، كما سنبين رأي المشرع الإسلامي وحكمه على هذا النوع من الأعمال الدّرامية.

المطلب الأوّل: مصادر الدّراما الإسلامية

غالب ما أنتج من أعمال درامية إسلامية محصور في قصص واقعية تاريخية، إمّا قصص الأنبياء، أو الصحابة، أو سير الأبطال، أو تاريخ دول معينة، وهذا ما يجعل من الميلودراما الإسلامية غير محببة للمستثمرين في مجال الدّراما؛ لأنّها لا تعود عليهم بأرباح طائلة كتلك الّتي تحققها أفلام الإثارة والحركة، وهنا لا بد أن نفهم أنّ الأعمال الدّرامية عبارة عن مجموعة قصصية، يقوم بتصويرها مجموعة من الأشخاص، هذه القصص هي في غالب الأعمال الدّرامية المشاهدة اليوم قصص غير واقعية، لكنّها تحاول لمس الواقع والاقتراب منه ومن مشكلاته، لا بد أن تتجه الميلو دراما الإسلامية نحو هذه الأعمال الخيالية، نشاهد في أفلام الهوليوود كيف يصل الرّجل الأمريكي إلى الفضاء، وما يشاهده فيه من مخلوقات أخرى، ثم يبدأ العمل ببث رسائل يراد من هذا العمل غرسها في نفس المتلقي، منها مثلًا: قوة الرّجل الأمريكي، وطنيته وحبُّه لأمريكا برفعه للعلم الوطني، حرص السلطة الأمريكية على رعاياها والدّفاع عنهم، إلى غيرها من الرسائل الّتي تكون أوسع وأكبر في الأعمال الخيالية، وهذا هو أهم ما تمتاز به الدّراما الأجنبية، فمن منطلق دراسة أجراها الباحث مصطفى النمر، حول: "الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية" اتّضح أنّ أفراد عينة الدّراسة، كانوا موافقين بدرجة كبيرة جدًا على أنّ الدّراما الأجنبية مليئة بالمغامرات والخيال العلمي، وأنّ الدّراما الأجنبية مثيرة ومشوقة، ومسلية وممتعة[20].

الدّراما الإسلامية تؤكد على الماضي فقط، وهذا خطأ كبير، لا يمكن غض الطرف عن محاسن الأعمال التاريخية، كالتأكيد على الأسس الهوياتية والقيمية والثقافية، الّتي جعلت من المسلمين حضارة متقدمة في عصورٍ كانت فيها أوربا

[19] النمر، مصطفى صابر (2016م): **الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية**. ط:1، 2016. النّاشر: دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

[20] النمر، مصطفى صابر: **الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية**، ص 209 .

متخلفة، لكننا اليوم بصدد إعادة ثقة المسلمين في أنفسهم، لا بد أن لا نسمح للآخر أن يُضخّم نفسه ونستصغر أنفسنا باستحضار الماضي، كأنّنا نؤكد بذلك على موتنا اليوم، ولم يعد لدينا ما نتحدث عنه سوى أمجادٍ خالية.

لذا أقول إنّه يجب في العمل الدّرامي الإسلامي ألّا يقتصر على استحضار الماضي فحسب، بل لا بد من ذكر الحاضر أيضًا ولو كانت أعمالًا خيالية، و لا بد أيضًا من أعمال تتحدث عن المستقبل، فمصادر الميلو دراما الإسلامية لا بد أن تكون متنوعة منها:

1. السيرة النبوية، وسير الصحابة والفاتحين والعلماء.
2. الأحداث التاريخية كالفتوحات الإسلامية.
3. القيم الإنسانية الّتي جاء بها الإسلام.
4. الأزمات الّتي تمرّ بها الأمّة اليوم، عندما تتناول الدّراما مواقف مباشرة من حياتنا اليومية فإنّها توسع مفهوم الشخصيات، ومدلول المواقف، وتبرز قيم التّصرفات والأعمال، وبذلك تحقق القدرة على الفهم، وتزيد من الإحساس.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من الدّراما

حين أتحدث عن موقف الإسلام من الدراما، أتحدث عن ذلك المفهوم العام للدراما، من أنّها تأليف قصصي يقدّمه مجموعة من الأشخاص على المسرح أو الشاشة لمعالجة مشكلة ما، أو تناول حدثٍ ماضٍ وتسليط الضّوء عليه وتعريف النّاس به وبرجالاته.

الإسلام لا يجرّم هذا العمل، بل الإسلام يدعو النّاس إلى الاهتداء بقصص الأمم السابقة، والاعتبار بالأحداث الماضية، ففي القرآن الكريم سردٌ كثير لمجموعة من قصص الأنبياء، وهذا ينبهنا على أهمية القصة كوسيلة لنقل المفاهيم، وتغيير السلوك والأفكار، ففي سورة الأنبياء مثلًا عالج القرآن مشكلة عبادة الأصنام معالجة قصصية، فلقد دعا الله I نبيه سيدنا محمدًا ε أن يتلو عليهم خبر سيدنا إبراهيم υ، وما جرى بينه وبين قومه من مناظرة عقلية، فدار الحديث عن عبادة الأصنام، وأنّها ليست سوى تماثيل مسنّدة، ثمّ كيف قام سيدنا إبراهيم υ بهدم هذه الأصنام إلّا كبيرها، وتركه قائمًا حتّى يتسنى لقومه أن يسألوا الشاهد الوحيد الّذي أبصر ما حل بالآلهة الأخرى، فلمّا عجزوا عن استنطاق الحجر؛ أيقنوا في قرارة أنفسهم أنّهم كانوا خاطئين.

هذا الأسلوب القصصي الّذي استخدمه القرآن في خطاب النّاس، وفي معالجة مشكلة كانت قائمةً في زمان النّبي ε، وهي عبادة الأوثان والأصنام، وكيف كان لهذه القصة المتلوة تأثيرٌ في نفوس من ألقيت عليهم، يمكن أن يكون أصلًا نستند عليه في إباحة الأعمال الدّرامية، خصوصًا أنّ الدراما الإسلامية تهدف عبر مجموعة من القصص إلى معالجة مشاكل حاضرة، من ضياع الانتماء، وفقد البوصلة، وتشتت الأمّة، وغيرها من المشاكل الّتي يمكن للدراما أن تعالجها بما تحتويه من مؤثرات وحبكات سينمائية.

شرطٌ مهم: لابد في الدّراما الالتزام بالأخلاق الإسلامية العامة، من الحشمة، والحياء، وعدم الخلوة، وعدم تزييف الوقائع، كذلك يجب أن تلتزم الأعمال الدّرامية بالصدق، والموضوعية، وأن تكون موضوعاتها هادفة بنّاءة، تخاطب الدّاخل الإسلامي بالتّأكيد على قيم التّعامل الإنساني الرّاقي الّذي أكّد عليه الإسلام، وتخاطب الخارج الإسلامي (الغرب) بالتأكيد على سماحة الإسلام، وعدم إقصاءه للآخر، وتأكيده على مبدأ التعايش السلمي المشترك.

المبحث الرابع

ضرورة الدّراما في الخطاب الإسلامي وأهميتها في مخاطبة المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى

أتحدّث في هذا المبحث عن ضرورة الدّراما واحتياجنا لها في الخطاب الإسلامي، ثم ختمت المبحث بالحديث عن أهمية الدّراما في خطاب الغرب الذّي يعتمد كثيرًا على الدّراما في تشكيل فكرته عن الإسلام، وكذلك أهمية الدّراما في خطاب الدّاخل، ودورها في علاج بعض المشاكل الدّاخلية الّتي تعاني منها الأمّة الإسلامية، كغياب الحريات، والعدالة الاجتماعية وغيرها.

المطلب الأوّل: ضرورة الميلو دراما في الخطاب الإسلامي

نحن اليوم في عصر العولمة، ينبغي لخطابنا الإسلامي أن يُراعي هذه الحقيقة، لم يعد اليوم للكتاب ذلك التأثير القوي، إنّ الأفكار والثّقافة اليوم لم تعد محصلّة للقراءة والاطّلاع، بل هي محصلة لمشاهدة التلفاز والإنترنت و وسائل الاتصال الحديثة.

إنّ تأثير التلفزيون اليوم ودوره الثقافي والتربوي يفوق في عالمنا العربي ــعلى الأقلــ دور المدرسة وتأثير البيت، نحن نقبل على التلفاز بعفوية وطواعية، لأنّه يقدّم لنا كمًا هائلًا من التّرفيه، هذا الانجذاب التّلقائي العفوي يمهّد الأرضية النفسية والذهنية لدى المتلقي لقبول ما يبثه التّلفزيون من أفكار، والتّفاعل معها بصورة تفوق دروس المعلم ونصائح الأهل[21].

[21] أبو نضال، نزيه: **دور الدّراما العربية في تشكيل الوعي**. النّاشر: مجلة الرّأي على الإنترنت، http://alrai.com.

لم يعد اليوم للخطب والمحاضرات ذلك التّأثير الذّي كان سابقًا قبل هذه الثورة الإعلامية، إنّ تأثيرها وفاعليتها اليوم بالمقارنة مع الدّراما يظلّ محدودًا، ذلك أنّ الخطب، والكتابات، والمحاضرات، تستهدف فئات معينة هم القرّاء وطلّاب العلم، لكن الميلودراما يأتي الإقبال عليها من مختلف شرائح المجتمع وفئاته العمرية، وهذا هو سرّ قوتها، كما أنّ الميلودراما تتميّز عن الكتابة بكونها تخرج المشاهد من مرحلة القراءة إلى مرحلة المشاركة في الأحداث –بالتأثّر، والتّحليل، والانفعال، كما أنّها تتفوق على الكتابة في كونها تقدّم تجارب مكثّفة تختصرها للمشاهد في ساعات قليلة، يمكنك أن تتعرف خلال فيلمٍ واحدٍ لا تتجاوز مدته السّاعتين سيرةَ فاتحٍ، أو قصّة مدينة، هذه السّاعات القليلة تكون مليئة بمشاعر متناقضة من الحزن، والفرح، والبكاء، والسّرور، وهو ما لا يمكن للكتب أن تفعله.

إنّ العمل الدّرامي بقدر ما يمكن أن يكون هادفًا يكون هادمًا، لا يطرح سوى أفكارٍ مغلوطة، تهدف إلى تزييف الواقع، وتسطيح الوعي، وإلغاء الذّاكرة. لذا فهي تلعب دورًا مهمًا وخطيرًا في تكوين وعي وثقافة المجتمع، وتؤثّر بشكلٍ كبير في سلوكيات الأفراد، لذلك من الضّروري أن يكون لدى الكاتب ضميرٌ وحسٌ وطني وإنسانيٌ صادق يدرك مسئوليته المجتمعية، خصوصًا في مجتمعاتنا العربية الّتي يعاني معظمها من الأمية والحرمان من القراءة، وممارسة الفنّ والرّياضة، والحصول على تعليم جدّي، وهذه هي مصادر تكوين الوعي في المجتمعات المتقدمة، وفي غياب هذه الوسائل يصبح التّلفاز هو وسيلة الثقافة الأولى والوحيدة، ومن هنا تكمن أهمية الدّراما وخطورتها، فإذا كان الكاتب غير مثقف وغير واعٍ فإنّه سيقود المشاهدين إلى الهاوية، ويُفسد منظومة القيم، ويحوّل الجريمة لفعل بطولي، ويحول الأفعال البطولية لمصدر سخرية[22].

وهذا ما يحدث فعلًا في الدّراما العربية، فلقد ناشدت منظمة الصّحة العالمية القائمين على الأعمال الدّرامية وسائر الأعمال الفنّية العربية –أن يطهّروا هذه الأعمال من مشاهد استهلاك التّبغ والمخدّرات، وأن يتجنبوا الاستخدام الصّريح لهذه المنتجات فيما يقدّمونه من مسلسلات، وأعربت المنظمة في بيانٍ وزّعه المكتب الإقليمي للشرق المتوسط _ومقره القاهرة_ عن دهشتها من الإسراف في كم المشاهد لمتعاطي التّبغ والمخدرات –الّتي حفلت بها الأعمال الفنّية الّتي عرضت خلال شهر رمضان الأخير، وحذّرت من أنّ هذا الكم الهائل سيكون له أسوء الأثر في إغراء الشّباب والأطفال بعادة التّدخين القاتلة، ومعاونة منتجي التّبغ على تنفيذ مخططاتهم في إيقاع أكبر عدد من النّاس في إدمانه، وأكّدت أنّ ظهور مشاهد التّبغ في الأعمال الفنّية هو المسئول عن زيادة استهلاك التّبغ بصفةٍ عامة.

إنّ مثل هذا البيان من منظمة الصّحة العالمية ينبغي أن يُشعر صانعي الدّراما العربية بالخجل، كونهم أصبحوا معول هدمٍ لأمتهم حين كانت في أشدّ الحاجة إليهم، فبدل أن يساعدوا في إحياء مفهوم التّزكية، وتحفيز الفرد للسعي نحو الكمال والإحسان، من خلال إحياء الفهم الحقيقي للإسلام والحياة، وترسيخ الحس الوطني عبر أعمال درامية هادفةٍ

[22] الحلبي، محمد خير: **الدّراما الرّمضانية وعلاقتها بالأبنية الاجتماعية**. مصدر سابق.

وبنّاءة، نرى إعلامنا العربي خصوصًا في شهر رمضان الفضيل يبثّ أعمالًا تهدم القيم والفضيلة، تُبرر للخيانات الزّوجية، وتمجّد أعمال النّصب والاختلاس، وتدعو للانحراف والضّياع، كما نوّه تقرير منظّمة الصّحة العالمية.

المطلب الثالث: أهمّية الدّراما في خطاب المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى.

أ- أهمية الدّراما في خطاب الدّاخل (المسلمين)

قبل الحديث عن أهمية الدّراما في خطاب الدّاخل، وقدرتها على إحداث التغيير، ينبغي أولًا أن نتحدث بصراحة عن ذلك الدّاخل الإسلامي، أبرز مشكلاته وسلبياته، تعيش أمتنا الإسلامية اليوم حالةً من الشرود، فهي مشتتةٌ ضائعة، يلخص الكاتب الياباني نبوأكي نوتوهارا –الّذي قضى أربعين عامًا مسافرًا إلى العواصم العربية والأرياف والبوادي- حالة الإنساني العربي وفقًا للأربعين عامًا الّتي قضاها معهم، ألخص نظرته في جملةٍ من النقاط:

1. غياب العدالة الاجتماعية: إنّ الإنسان العربي يفتقد لأبسط حقوقه، فلا توجد عدالة اجتماعية، وهذا يعني غياب المبدأ الأساسي الّذي يعتمد عليه النّاس، وتحت ظروف غياب العدالة الاجتماعية تتعرض حقوق الإنسان للخطر، لذلك يصبح الفرد هشًّا، مؤقتًا، وساكنًا بلا فعالية، لأنّه يعامل دائمًا بلا تقدير لقيمته كإنسان.
2. غياب الدّيمقراطية: الحاكم العربي يحكم مدى الحياة في الدّولة الدّينية، أو الملكية، أو الجمهورية، أو الإمارة أو السّلطنة، لذلك لا ينتظر النّاس أي شيءٍ لصالحهم.
3. تقييد للحرية الفكرية: معظم الصّحف العربية تمنع من بلدٍ إلى بلد، وهناك مئات من الكتب ممنوعة في معظم البلدان العربية، كتلك الّتي تتعرض لحياة الفئات الحاكمة، أو الّتي تتكلم عن واقع السّجون، والحرّيات العامة.
4. غياب العدالة وانتشار القمع: إنّ القمع بكافة أشكاله مترسخٌ في المجتمعات العربية، المجتمع العربي مشغولٌ بفكرة النمط الواحد، على غرار الحاكم الواحد، لذلك يحاول النّاس أن يوحدوا أشكال ملابسهم، وبيوتهم، وآرائهم، وتحت هذه الظّروف تذوب استقلالية الفرد، لتحل مكانها فكرة الجماعة المتشابهة المطيعة للنّظام السّائد، في هذه المجتمعات يحاول الفرد أن يميز نفسه بالنسب، كالكنية، أو العشيرة، أو بالثروة، أو بالمنصب، أو بالشهادة العالية في مجتمع تغيب فيه العدالة، ويسود القمع، وتذوب استقلالية الفرد وقيمته كإنسان، ويغيب أيضًا الوعي بالمسئولية، ولذلك لا يشعر المواطن العربي بمسئوليته عن الممتلكات العامة مثل الحدائق العامة، والشوارع، و وسائل النّقل الحكومية، والغابات،

وغيرها، ولذلك يدمرها اعتقادًا منه أنّه يدّمر ممتلكات الحكومة، لا ممتلكاته هو! وهكذا يغيب الشّعور بالمسئولية أيضًا تجاه أفراد المجتمع الآخرين[23].

مع هذه الحالة السّيئة الّتي يعيشها الإنسان العربي، نلاحظ أنّ إعلامنا يعيش حالةً من اللامسئولية، لا يدعو إلى خلقٍ نبيل، و لا يُحرّض على أي فضيلة، يفتقد إعلامنا للبوصلة الّتي توجهه في مساره الصّحيح، ومع الأسف الّذي لا ينتهي أن يُستغل شهر رمضان لبث مسلسلات الرذيلة والانحطاط الأخلاقي، ولقد انتقد الشّاعر فاروق اجويدة حالة الإسفاف، والابتذال، والألفاظ النّابية الّتي امتلأت بها مسلسلات رمضان هذا العام، وأنّه في صدمة من الانحدار والهبوط في الفن، الّذي أصبحت مادته الجنس، والمخدرات، والدّعارة، وكأنّ هذه المسلسلات ليست فنًّا، بل معولًا لهدم الأخلاق والتّاريخ[24]. وبذلك تكون الدّراما قد ساهمت في تدمير عقول الشباب، وتشويش اتجاهاتهم، وقتل أوقاتهم، وخلط الأولويات والأهداف لديهم، وتسطيح معرفتهم عبر تقديم معلومات مغلوطة، وحقائق مشوهة.

إنّ خطابنا الدّاخلي ضعيف، لا يرقى إلى مستوى ما تعانيه الأمّة من صراعات وانقسامات، كما أنّ التّيارات السّياسية المختلفة تسعى إلى توظيف الخطاب الدّيني بما يخدم مصالحها لا بما يخدم مصالح الأمّة والأوطان، فنرى توظيفًا للخطاب الدّيني في تبرير الإرهاب، كما نرى توظيفًا له في تبرير الاستبداد.

إنّ هذا الضّعف في الخطاب الدّيني بكافة أدواته (الوعظ، الخطابة، المحاضرات) يضعنا أمام حقيقة مهمة: اللجوء إلى الدّراما، فمن خلال الدّراما نستطيع أن نعالج العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية والدّينية، ونتمكن من إيصال العديد من الرّسائل للمتلقي بهدف زيادة الوعي لديه، فالهدف من الدّراما ليس هو الترفيه فقط، بل هي عمل إنساني هادف، يحمل رسالةً اجتماعية، وثقافية، ومعرفية، يمكنها أن تعالج بعض مشكلات المجتمع، وتسلط الضوء على الأحداث والأزمات بهدف الاستفادة وتدارك الأخطاء، ومن المشاكل الّتي يمكن أن تعالجها الدّراما:

1. نشر الوعي تجاه تنظيم الأسرة.
2. ترسيخ القيم والمباديء السّامية الّتي تساعد في رفعة المجتمع وتطوّره.
3. تزويد أفراد المجتمع بالمعلومات الصحيحة عن كلّ ما يتعلق بتاريخه، و وطنه، وبلاده.
4. تعميق الوعي الفردي لأهمية المجتمع والتّعاون في بنائه.
5. إنشاء النشْء على ثقافة الحوار، وفهم التحديات الدّاخلية والخارجية.

[23] نوتو هارا، **نوبوأكي: العرب وجهة نظر يابانية.** ط:1 (2003) النّاشر: منشورات الجمل – ألمانيا.
[24] المقال نشرته صحيفة اليوم السّابع على الإنترنت، يوم الأحد 19 نوفمبر 2017 . http://youm7.com .

6. زيادة وعي الفرد بالقضايا الكبرى للأمة كالقضية الفلسطينية.

ب- أهمية الدّراما في خطاب الخارج (غير المسلمين)

إنّ الصورة الّتي يتبنّاها الغرب ويؤمن بها عن المجتمع الإسلامي هي ما يبثّها إعلامهم، وإنّ الإعلام الغربي يتفنن في تشويه هذه الصّورة، ووسم المجتمع الإسلامي بالإرهاب، واستعباد المرأة، والبحث عن الشهوة، يقول الباحث جون ل سبوزيتو: "فبالنّسبة للكثيرين في الغرب، صار تلقائيًا لديهم أنّ العرب بدو، أو شيوخ بترول، يعشقون الصّحراء، والحريم، أنّهم شعبٌ عاطفي متقلب، وغير عقلاني، وغالبًا ما تتم مساواة الإسلام بالجهاد والكراهية، والتّعصب والعنف، والتّشدد، وقهر المرأة[25]" و للأسف تأتي الأعمال الإرهابية الّتي يقوم بها تنظيم الدّولة الإسلامية (داعش) لتعزز تلك الصورة النمطية لدى الغربيين عن الإسلام، ولعل بعض السّمات البارزة للصورة الإسلامية عند الغرب هي:

1. هناك ربطٌ دائمٌ بين الإسلام والعنف .
2. أسلمة الإرهاب.
3. المسلم شخص شديد التّخلف.
4. العرب عدوانيون وضد المرأة.
5. الإسلام لا يتوافق مع الديموقراطية والحداثة، فهو مقاتل بتكوينه[26].

إنّ الدّراما هي المصدر الرئيس المكوّن للصورة الإسلامية عند الغرب، وقد سبق أن ذكرت في المقدمة استغلال هذا الفن من قبل كيانات معادية للإسلام –في رسم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين والعرب، كلّ ذلك خدمةً لأهداف ومآربَ سياسية، هذه الكثافة الحسّية الّتي تعمدت تلك الكيانات نشرها عن الإسلام خلقت صورةً مشوهةً عن الإسلام عند الإنسان الغربي، فعلاوة على كونه إرهابي فهو همجيٌ جاهل يؤمن بالأساطير والخرافة، ولعل الفيلم الأمريكي (المومياء – The mummy) قد حقّق أعلى الإيرادات في دور العرض الأمريكية، يتعمّد هذا الفيلم تهميش الشخصيات العربية، وتصويرهم في صورةٍ سطحية غارقة في الأساطير والجهل. بينما نرى هذا الإعلام الغربي كيف يتفنن بالعكس في تلميع صورة الاحتلال الأمريكي في العراق، وكونه جاء من أجل القضاء على أسلحة الدّمار الشّامل، ونشر

[25] سبوزيتو، جون ل: **التّهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟**. (19)
[26] سبوزيتو، جون ل: **التّهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟**. (16)

الدّيمقراطية، والقضاء على الاستبداد، فقد استطاعت الدّراما الأمريكية تحسين صورة الاحتلال -سواءً في فيتنام، أو الصّومال، أو العراق- في أذهان الشعوب، وأفلح كثيرًا في ظل غياب أعمالٍ ناضجة تكشف الحقيقة.

ينبغي أن لا ننكر أن أفعال وسلوكيات بعض فئات المسلمين تغني أحيانًا عن مساهمة الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام، فتكون تلك التّصرفات كافية لكي يحصل الخلط بين الإسلام وتصرّفات بعض المسلمين الّتي يتبرأ منها الإسلام، ينبغي أن تفهم المجتمعات الغربية أنّ هذه الأعمال فرديّة، تمثلًا فكرًا مشوهًا ومنحرفًا لا يمت للإسلام بصلة، وينبغي أن نستعين في ذلك بالميلو دراما، فمن منطلق دراسةٍ علمية أجراها مهرجان دبي السينمائي، بالتعاون مع جامعتي هارفارد، وجامعة MIT عام 2011 ميلادية، ثبت أنّ الدّراما لها دورٌ كبير في تغيير قناعات الشعوب، لقد طرحت هذه الدّراسة تساؤلًا مهمًا: هل تغير السينما أفكار مجموعة من النّاس عن مجموعةٍ أخرى؟ فمثلًا الغرب يقول إنّ الإنسان العربي إرهابي، فهل يمكن للسينما أن تُغيّر أفكار الآخرين عن العرب؟

شملت الدّراسة عددًا من الأشخاص، ومن النّتائج الّتي خلصت إليها: أنّ فيلمًا واحدًا لا يؤثّر بشيء، وأنّه على الأقل على الإنسان أن يرى سبعة أفلام لسبعة مخرجين، في أوقات مختلفة، ومواضيع مختلفة، وكلّها تقول: إنّ الإنسان العربي ليس إرهابيًا، وعندها يمكن أن يبدأ عقله بتغيير هذه الفكرة[27].

ينبغي أن نستند على هذه الدّراسة في معالجة تهمة الإرهاب الّتي التصقت بالإسلام، وإنّه لمن المؤسف أن تخلو الدّراما العربية من هذه الأهداف السّامية.

[27] جمعة، عبد الحميد: **7 أفلام قادرة على تغيير الوعي البيني**. النّاشر: مجلة البيان على الإنترنت، http://albayan.com.

الخاتمة

(النّتائج والتّوصيات)

النّتائج :

1. الخطاب الإسلامي هو التعبير التّطبيقي عن الإسلام، وليس هو الإسلام.
2. لا سبيل لإصلاح حال المسلمين، وتحسين وعي الآخر بالإسلام، دون إحداث ما يلزم من تغيير وإصلاح في الخطاب الإسلامي.
3. الدّراما مكوّن رئيس لتشكيل صورة الإسلام عند الغرب.
4. الصورة الإسلامية تشوهت عند الإنسان الغربي بسبب أعمال درامية معينة، صنعت لتشوه صورة الإسلام خدمةً لأجندات سياسية معينة.
5. غياب الأعمال الدّرامية الإسلامية في ساحة الأعمال العربية.
6. الإسلام لا يحرّم الفن، و لا يجرّم الأعمال الدّرامية.
7. يمكن للدراما معالجة كثير من المشاكل الاجتماعية.

التّوصيات:

1. ضرورة إنشاء مؤسسة إسلامية للإنتاج الإعلامي، تتولى إنتاج الأفلام والأعمال الدرامية، كما تتولى إنتاج البرامج والتّقارير الإخبارية الّتي تتحدث عن الإسلام بصورة صحيحة، وتنقلها للشعوب الأخرى.
2. تنظيم ورش عمل للتبصير بقوة الأعمال الدّرامية في التّأثير.
3. متابعة ما يصدر من أعمال درامية غربية تتحدث عن الإسلام، ونقدها نقدًا علميًا بنّاءً، ونشر ذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة.

4. دعم الأعمال الدّرامية العربية، وتبصيرها بأهمية دورها في نهضة الأمّة وتقدّمها.

(مصادر ومراجع البحث)

مأجدة حسب ألقاب المؤلفين

1. أبو نضال، نزيه: **دور الدّراما العربية في تشكيل الوعي**. النّاشر: مجلة الرّأي على الإنترنت، http://alrai.com.
2. البشير، عصام (1425 هـ - 2004 م) : **منطلقات أساسية لخطاب إسلامي معاصر**. مؤتمر الهدي النبوي في الدّعوة والإرشاد، أبو ظبي.
3. الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**. لا:ط، تحقيق: فوزي عطوي، النّاشر: دار عصب، بيروت – لبنان
4. جمعة، عبد الحميد: **7 أفلام قادرة على تغيير الوعي البيئي**. النّاشر: مجلة البيان على الإنترنت، http://albayan.com .
5. الحديدي، منى. العبد، عاطف (2006م): **استخدامات الشباب العربي للقنوات الفضائية وتأثيراتها فيهم**. دراسة حالة لطلّاب معهد البحوث والدّراسات العربي، معهد البحوث والدّراسات العربية – قسم البحوث والدّراسات الإعلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، .
6. الحلبي، محمد خير: **الدّراما الرمضانية وعلاقتها بالأبنية الاجتماعية**. النّاشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، www.mominoum.com.
7. الزين، صباح (2015م): **تأثير البرامج التلفزيونية على القيم الاجتماعية للشباب الدّراما التركية أنموذجًا**. رسالة ماجستير، إشراف: بلال بو ترعة، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم الاجتماع.
8. سبوزيتو، جون ل: **التّهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟**. ط:2، ترجمة: قاسم عبده قاسم، النّاشر: دار الشّروق، القاهرة –مصر (20)
9. شقير، بارعة حمزة (1995م): **تأثير التّعرض للدراما الأجنبية في التلفزيون على إدراك الشباب اللبناني للواقع الاجتماعي**. أطروحة دكتوراة، القاهرة: كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1995م.

10.الشمّاس، عيسى (2005م): **تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب** دراسة ميدانية. مجلة جامعة دمشق – المجلد 21 – العدد الثاني 2005 .

11.صحيفة اليوم السّابع على الإنترنت http://youm7.com .

12.العرضاوي، مرفت محمد شريف (1433-1434هـ) : **التأثير النّفسي للدراما التلفزيونية على السلوك الأسري** دراسة ميدانية.

13.غرايبة، إبراهيم: **الخطاب الإسلامي في ظلّ الربيع العربي**. النّاشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، http://www.mominoum.com.

14.مصطفى، إبراهيم. و الزّيات، أحمد. و عبد القادر، حامد. و النّجار، محمد: **المعجم الوسيط**. لا:ط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، النّاشر: دار الدّعوة (1 : 282) .

15.مصطفى، رانيا أحمد محمود (2006م): **تأثير الدّراما العربية والأجنبية المقدّمة في القنوات الفضائية العربية على قيم واتّجاهات الشباب العربي**. أطروحة دكتوراة، إشراف: أ.د ماجي الحلواني ، د.شاهيناز البسيوني. جامعة القاهر، كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتلفزيون.

16.المصعبي، عبد الملك منصور: **خصائص الخطاب الإسلامي المعاصر**. www.RA-YE.com .

17.معجم المعاني على الإنترنت http://www.almaany.com .

18.النمر، مصطفى صابر (2016م): **الدّراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية**. ط:1، 2016. النّاشر: دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

19.نوتوهارا، نوبوأكي: **العرب وجهة نظر يابانية**. ط:1 (2003) النّاشر: منشورات الجمل – ألمانيا.

20.الواحدي، علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** . ط:1 ، تحقيق: صفوان عدنان، النّاشر: دار القلم، الدّار الشامية، دمشق – بيروت، (2 : 921) .